سقوط الفن في العفن السياسي، مقاربة سيميولوجية لملصق فيلم سقوط الصقر الأسود

الدكتور : سليم بتقـــة
قسم الآداب و اللغـــة العربيـــة
جامعة محمد خيضر- بسكرة

لقد صار الفن السينمائي من وسائط التعبير الفني، ووسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التي تتخذها الشركات العالمية المتعددة الجنسيات/ العابرة للقارات، والحكومات أداة ناجعة للدعاية والإعلام وترسيخ قيمها وأفكارها تمهيداً للسيطرة الفكرية عليها.

في هذه المقاربة السيميولوجية سنحاول أن نكشف عن بعض طلاسم الفيلم و نقرأ ألفبائيات الفيلم/ الصورة، من خلال ملصق الفيلم، ذلك أن الصورة تقبل التحليل كاللغة مثلاً، ودراستها تتيح الإطلاع على مدى غنى وتعدد دلالات خطابها.

سقوط الصقر الأسود Black hawk dawn فيلم أمريكي للمخرج الأمريكي البريطاني الأصل ريدلي سكوت Ridley Scott إنتاج جيري بروكهايمر Jerry Bruckheimer سيناريو كين نولان Ken Nolan .القصة مأخوذة من كتاب مارك بودين Mark Bowden حكاية حرب حديثة A story of modern war من بطولة نخبة من الممثلين جوش هارتنات Josh Hartnett طوم سيزمور Tom Sizemoreوليام فيشنر William Fichtner اوان برمنر Ewen Bremner وآخرون.

يصور الفيلم معركة موقاديشو التي جرت في 3أكتوبر 1993 بين قوات من المارينز الأمريكية والمقاتلين الصوماليين والتي دامت ست عشرة ساعة (16ساعة) وخلفت ثمانية عشر قتيلا واثنين وثمانين جريحا في صفوف المارينز، مقابل خمس مائة قتيل في صفوف المقاتلين الصوماليين. الفيلم سؤال في أخلاقيات الحرب، وفي الدعاية الهوليودية ومدى

مساهمتها في الحرب ضد الإرهاب بعد أحداث 11سبتمبر، وقدرة الاعتماد على الخيال الخلاق، ومهارات الإقناع التي يمكن أن تساند هذا المجهود الحربي. مدة الفيلم ساعتان وثلاث وعشرون دقيقة.

المداخلـــة:

أولا: الخلفية السياسية لإنتاج الفيلم:

في 11 نوفمبر 2001 بعد شهرين بالضبط من الأحداث المأساوية جرى بفندق في بيفرلي هيلزBeverly Hills لقاء جمع كارل روف ,Karl Rove مبعوث البيت الأبيض بأرباب العمل في هوليوود. لقد جاء روف ليناقش مساهمة صناعة السينما في الحرب ضد الإرهاب. وبعد الاجتماع أكد جاك فالنتيJack Valent ممثل الاستوديوهات، أنه لا وجود لمسألة الرقابة أو الدعاية، وأن الأمر يكمن في الاعتماد على الخيال الخلاق، ومهارات الإقناع التي يمكن أن تساعد هذا المجهود الحربي حتى يستطيع الأمريكيون مرة أخرى العيش في حياة طبيعية.

هل هي دعاية أم لا؟ التعريف الذي يورده القاموس الفرنسي روبير الصغير le Petit Robert لمصطلح الدعاية واضح مع ذلك: فعل ممارس على الرأي العام لحمله على بعض الأفكار السياسية والاجتماعية، لدعم سياسة حكومة، ممثل" أو فعل " تمجيد مزايا فكرة، نظرية، لرجل... من أجل الحصول على عضوية، أو على دعم.

هذا التعاون لم يفاجئ المخرج المصري يوسف شاهين الذي يرى وجود علاقة قوية بين هوليوود والبيت الأبيض:

...سوف تدعم هوليوود دائما البيت الأبيض. فالصناعة السينماتوغرافية محمية ومدافع عنها من طرف واشنطن ، وهذا أمر طبيعي. جميع الرؤساء طالبوا ، و-باسم مبدأ التجارة الحرة-بالحق في هيمنة السينما الأميركية. وحتى بيل كلينتونBill Clinton كان من المتحمسين لهذه الفكرة. البيت الأبيض يدافع عن مصالح هوليوود، وهوليوود تعرف ذلك جيدا وبالتالي فإن مصيرهما أصبح أكثر ارتباطا عن ذي قبل.

في الواقع يجري الهجوم الهوليوودي على ثلاث جبهات؛ أولا يجب على صناعة

السينما أن تظهر دعمها لهذه القوات على الارض. الممثلون والممثلات يقومون بزيارة للقوات وحضور العروض الأولى لبعض الأفلام. فيلم المحيط الحادي عشر Ocean Eleven قدم إلى مشاة البحرية المتمركزة في تركيا الذين استطاعوا الالتقاء في نفس المناسبة بالممثلين؛ جوليا روبرتسJulia Roberts براد بيتBrad Pitt وجورج كلوني George Clooney ومات ديمونMatt Damon , وأندي غارسياAndy Garcia . وبالمثل شاهد البحارة العاملون على متن حاملة الطائرات يو اس اس كارل فنسون USS Carl Vinsonفي الخليج الفارسي فيلم (وراء خطوط العدو) Behind Enemy Lines واجتمعوا بطاقم الفيلم الذي كان متواجدا معهم.

والجبهة الثانية هي التلفزيون، حيث تم وبسرعة تمرير رسائل عيد الميلاد لصالح الجنود، وقد اضطلع بقراءتها نجوم المسلسلات، وأدرجت الولايات المتحدة ضمن مسلسل [القاضي المحامي العام] [Judge Advocate General] JAG الذي بث على شبكة سي بي اس CBS سيناريوهات تذاع مباشرة من العمليات العسكرية في أفغانستان. بفضل التلفزيون ترك الواقع مكانه للترفيه في غضون بضعة أيام، كما لو أنه محاولة لتبرير الحرب بسرعة، حتى أن حلقة من القاضي المحامي العام ذهبت إلى حد محاكمة أحد الإرهابيين من تنظيم القاعدة، وهذا الأمر يدخل في إطار إظهار عمل المحاكم العسكرية التي شكلتها إدارة الرئيس جورج بوش. بطبيعة الحال فالبنتاغون يدعم بقوة عمل هوليوود. وحسب نيويورك تايمزNew York Times "، فإن البنتاغون كان قلقا، لأن الجيش ينظر إلى ما يسميه المحللون في التلفزيون" militainment "باعتبارها واحدة من أكثر الطرق فعالية لتمرير رسائلهم. كما بثت شبكة سي بي اس السلسلة الأمريكية الطيارون المقاتلونAmerican Fighter Pilots حيث أظهرت تكوين طياري المقاتلات، ومنذ البداية ربطت بين أحداث 11 سبتمبر 2001 ودور الطيران في مكافحة الإرهاب. وحسب الأميرال كريغ ر.كويغليCraig R. Quigley المتحدث باسم القيادة المركزية المنظمة المسؤولة عن العمليات العسكرية في أفغانستان، ((هناك طرق متعددة لتوفير المعلومة للشعب الأميركي وهذه من بين أفضلها)). قد أصبح مفهوما الآن سر ولع وزارة الدفاع الأمريكية بتلك البرامج التلفزيونية، لأن أولئك الذين ينتجون هم تحت رحمة العسكريين

الذين يمارسون بعض التأثير على المحتوى.

أخيرا الجبهة الثالثة هي للسينما، فالأفلام الدعائية التي أنتجت كانت من طراز (بلاك هوك داونBlack Hawk Down) الفيلم الذي يحكي معركة 3 أكتوبر 1993 في مقديشو بالصومال.

ثانيا: الملصق السينمائي وأهميته:

للملصق السينمائي أهمية خاصة وكبيرة، فهو البوابة الرئيسية لدخول عالم الفيلم ولا يكاد ينتبه إليه الكثيرون.. مع انه رمز للفيلم وعنوان دلالي يؤشر طبيعته وموضوعه... ويتحول إلى العلامة للتعريف بالعمل السينمائي الذي هو الفيلم المعروض عليه.. فهو يتصدر واجهات صالات العرض السينمائي ويتصدر أشرطة الفيديو والأقراص المدمجة السي دي .. وغير ذلك من وسائل التعريف والدعاية والإعلان والتسويق للعالم. وعلى البوستر السينمائي الناجح أن يلبي الحاجات المتعددة.

فضلا عن كونه مثل أي ملصق يعلن عن بضاعة لكون السينما صناعة وتجارة إلى جانب كونها فنا، يفترض بالملصق السينمائي أن يلفت الانتباه إليه، وأن يكون علامة فارقة مميزة، وأن يلخص دلالات الفيلم ويؤشر محتواه ويعرف بأبرز نجومه وممثليه. وقد يعتمد الملصق صورا فوتوغرافية مميزة من أحداث الفيلم نفسه، أو يعتمد الرسوم التشكيلية، وهذه الرسوم قد تكون بأسلوب واقعي أو كاريكاتيري وربما تكون رسوما تجريدية رمزية، وحتى الصورة الفوتوغرافية قد يجرى التعامل معها بتقنيات فنية كي تكون أقرب إلى اللوحة الفنية منها إلى التسجيل الواضح المباشر. وينبغي إسناد مهمة تصميم الملصق إلى فنان مستقل ومتخصص في ذلك غالبا.. ولا يشترط فيه أن يكون من فريق صناعة الفيلم، ولكنه ليس ببعيد عن الفيلم ومضمونه وأهدافه وظروف صناعته..

هناك أسلوبان شائعان في تصميم معظم ملصقات الأفلام السينمائية أحدهما: اعتماد مجموعة من الصور الفوتوغرافية من الفيلم يجري تقطيعها وتوزيعها في مساحة الملصق المحدودة، دون عناية بزيادة لمسات فنية تقنية إليها على الرغم من تقدم الأجهزة الفنية في السنوات الأخيرة.

والأسلوب الشائع الثاني: هو رسم صور بأسلوب واقعي عادة لوجوه الممثلين الرئيسيين في

كتل كبيرة وهو الأسلوب المألوف في معظم ملصقات الأفلام المصرية وفيه عناية بدقة التشابه أكثر من الاهتمام بجمالية التعبير.

ثالثا: التحليل السيميولوجي لملصق الفيلم (شبكة Bernard Cocula et Claude Peyroutet)

إن وضع منهجية متكاملة لتحليل الرسائل البصرية الثابتة في الملصق السينمائي يتطلب منا معارف وثقافات للتمكن من اكتشاف الخبايا من خلال المقاربة السيميولوجية الحديثة، التي تبحث عن الإيحائية للوصول إلى التنسيق الأيديولوجي الذي يتحكم في هذا النوع من المعاملات.

تعتمد هذه المنهجية على أربعة محاور أساسية هي: وصف الرسالة، مقاربة إيكونولوجية توضح خصائص الرمز في الملصق وتشرحها، إلى جانب المقاربة السيميولوجية التي تساعد على فهم العلامات والدلالات، وعلى فهم القوانين التقنية التي تحكمها، وأخيرا التركيب والخاتمة.

1-وصف الرسالة:

- المرسل: السير ريدلي سكوت منتج ومخرج أنجليزي ولد سنة 1937 في ساوث شيلسSouth shields، هو الأخ الأكبر للمنتج طوني سكوت الذي أسس معه شركة Scott free productions عام 1995.

أنجز في سنة 1977 فيلم Les dualistes وهو أول فيلم له، حيث حاز به جائزة مهرجان كان كأفضل عمل، وهذا ما شجع المنتجين التابعين لـ 20 th century fox على تموين فيلم Alien,le huitième passager والذي حاز به على جائزة المؤثرات الخاصة وإضافة إلى هذين العملين أخرج ريدلي سكوت مجموعة أخرى من الأفلام الناجحة نذكر منها: Gladitor,Hannibal,Black hawk dawn,Kingdom of heaven,American gangster,Robin hood.

- عنوان الرسالة:سقوط الصقر الأسود.Black Hawk Down

- تاريخها: 2001

- نوع الرسالة: ملصق سينمائي ذو بعد سياسي، وهي عبارة عن إطار مستطيل أفقي

بقياس 160/120سم يجسد معركة الثالث من أكتوبر 1993 برسم تشكيلي واقعي.

2 -المقاربة الايقونية: تحمل الصورة مشهدين على أساس ثنائية سماء/أرض هما:

الأول: عين متفتحة في كبد سماء زرقاء ترمق إلى أعلى يبدو داخلها رجل أسود يصرخ وأربع مروحيات من نوع هاوك سوداء اللون في عملية إنزال.

الثاني: جنود أمريكان بلباسهم العسكري الذي يظهر باللونين الأسود والبني في عملية انتشار داخل المدينة وهناك إلى اليمين مباني بلون رمادي يعلوها اسم فندق موقاديشو وقد كتب بلغة أجنبية Olympia وإلى اليسار تظهر مئذنة مسجد بلونين أصفر وبرتقالي.

3 -المقاربة الإيكونوغرافية:

أ. المجال الثقافي:

الهوية الفنية لهذه الرسالة: تنتمي إلى الملصق الملون، وقوة الصورة تتضح جليا في العناصر التي شملتها العين والطائرات المروحية، المباني والمسجد. والعنصران الأولان اللذان يمثلان العلو يعكسان القوة والرعاية بينما تمثل المباني في الأسفل الضعف والانكسار.

ب. مجال الإبداع الجمالي في الرسالة، ويشمل:

- سنن الأشكال والألوان: إذ يمكن تقسيم الصورة بخط أفقي واحد: الجانب العلوي جاء بلون أزرق وهذا اللون يرمز إلى الليل الطويل الذي عاشه الشعب الصومالي من الحرب الأهلية وهو ينتظر زواله، به لون متوهج وفي الأفق يظهر اللون الأصفر الذي يرمز إلى بزوغ الفجر فجر الحرية الذي سيحققه الأمريكان. فكرة الانتقال من الليل إلى النهار هي الانتقال من الموت إلى الحياة. أما لون الطائرات فجاء داكنا تناسبا مع نوعية الفيلم (فيلم حربي) ويرمز أيضا إلى المجهول. وفي هذا الجزء كتب على الجهة اليمنى عبارات باللغة الانجليزية:

somalia octobre 3,1993 A group of American soldiers were surrounded by a nation enraged and their only way out would be each other.An incident few remember will became the event no one will forget. بلون أصفر وهو من الألوان الساخنة تكشف ضمنية الفيلم، وتختزل صورة الآخر الغائب (الصومالي) فلا يظهر له وجود في الصورة سوى ما يعبر عن انتمائه

الحضاري (صورة المسجد).
كما يرمز اللون الأصفر إلى الاتحاد والوفاء وهو ما تعبر عنه جملة "لا تترك أحدا وراءك" leave no man behind

الجزء الأسفل يظهر بلونين البرتقالي والأحمر وهما يرمزان إلى العنف، أما اللون الأسود فهو رمز القلق، والحرب والموت كما يرمز أيضا للحركة. هذا الجزء هو الذي يتلقى (العنوان) والذي كتب بشكل و اضح وبلون أبيض بارز مائل إلى الاصفرار باللغة الأنجليزية Black Hawk Down عنوان مثير وملفت للانتباه، وكتب أسفله أسماء الطاقم المشارك في الفيلم وسنة خروجه على صالات العرض (2002) العرض. وتتحقق الوحدة الجمالية في انسجام الألوان وترابطها، ما يساعد في قراءة واضحة للصورة.
- السنن التشكيلية: إذ التكوين الجيد هو الذي لا يشتت العين من خلال توازن العلامات التي تحتويها الصورة وتكامل معانيها. وتشكيل الصورة: الجنود الأمريكان تبدو بارزة بين الظل والضوء يتحركون إلى الأمام حركة تعبر عن التوتر والتركيز، وفي نفس الوقت تبدو مطمئنة ومدركة للمهمة التي جاءت من أجلها .

مظهر الجنود الأمريكان بارزا في وسط الملصق يعني أنهم سيخرجون العالم من الشر (الظلام، في الليل) وإدخاله في عالم الخير (اليوم، الضوء). بفضل ما يتمتعون به من بطولة وشجاعة وتضحية. من وجهة النظر الأخلاقية، هؤلاء الجنود في الضوء هم يواجهون المشاهد على الملصق، مستشرفين المستقبل.
-السنن التبولوجية:

من خلال الملصق يظهر أن الجنود الأمريكان هم الشخصيات الوحيدة التي تبرز في الصورة. يتواجدون في ميدان المعركة بالعاصمة موقاديشو في مهمة بالغة الأهمية على مستقبل الصومال، ولا يبدو في الصورة من يثنيهم على إتمامها، فهم ماضون في الإيقاع بأمراء الحرب الذين يزرعون الرعب والموت في كامل أنحاء موقاديشو. تحت أنظار القوات الأممية التي ترعى هذه المهمة بعد أن تخلت عن دورها الأساسي ممثلة في العين في وسط السماء بلون أزرق هو لون القبعات الزرقاء.

ج-علاقة الشخصيات بالنقد النفسي:

إن الصورة التي ظهرت عليها فرقة The Task Force Ranger مثيرة للانتباه ، وذلك من خلال الهيئة والوضعية التي هي عليها، خصوصا وأنها تتجه نحو الأفق، و في ذلك دلالة على أن مرحلة جديدة سيكون عليها الصومال بعد القضاء على أفول الإرهاب الذين تسببوا في حرب أهلية ومجاعة خلفت ثلاث مائة ألف(300000) قتيل، وأن الصوماليين سيعيشون في طمأنينة وستصلهم المساعدات الدولية دون أن تقع بأيدي المليشيات التابعة للجنرال فرح عيديد.

كما أن اختيار اللون الأبيض للكتابة له دلالة على التجديد، وعلى التفاؤل، وفي نفس الوقت يلفت انتباه المشاهد، وأن أمريكا ستمحي كل أثر للإرهاب وتعمل على إقرار السلم وإنهاء الصراع.

وفيما يخص التحليل اللغوي للعنوان "سقوط الصقر الأسود" فإنه يبدو وكأنه يشير إلى نوع من السياسة متعلقة بمبدأ التدخل وذلك باختيار مكان الصراع أين تناست الجموع الغفيرة من الصوماليين نزاعها لكي تخرج القوات الأجنبية من أراضيها. "فبروكهايمر" و"سكوت" مع عودة القوات الأمريكية إلى القواعد والدفاع فقط على النفس، واختيار المكان الذي يجب اللعب فيه مستقبلا، وهو ما تشير إليه صورة الجنود في إحدى اللقطات وهم عائدون إلى الملعب الباكستاني تحت تصفيقات الجماهير الغفيرة التي اصطفت لتحيي أولئك الأبطال وكأنهم عدائو الماراطون، والحقيقة أنهم فارون بجلدهم من هول المعركة. كانت القاعدة ألا يتركوا وراءهم أحدا. فالعنوان إذن يشير إلى سياسة التدخل بدعوى المهام الإنسانية التي تبناها الصقور (الرئيس الامريكي جورج بوش ونائبه ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ونائبه بول وولفويتز، رئيس السياسة الدفاعية، ريتشارد بيرل، ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس) والتي غالبا ما تحصد الكثير من أرواح المارينز. أما صفة الأسود فهي إحالة على سحنة الأفارقة والمكان الذي سقطت فيه المروحيتان علما بأن هذا النوع من المروحيات بدأ العمل به في السبعينات وهي على أنواع متعددة وتربو قيمتها على الخمسة ملايين دولار للمروحية الواحدة.

أما عن المباني التي تظهر على اليمين فهي توحي بنوعية المعركة والتي لن تجري في ساحة

مكشوفة وإنما في أماكن آهلة بالسكان في وسط العاصمة حيث الحارات والأسواق، وبالتالي ستكون من أشرس المعارك لأنها ببساطة معركة شوارع. أما المسجد الذي تظهر مئذنته على يسار الملصق فهو يوحي بالخلفية الإسلامية لأحداث المعركة لأن الإرهاب في نظر الأمريكان له لون واحد وقد حدد سلفا. وبالتالي فالجنود الأمريكان يظهرون بين كماشتين؛ كماشة المقاتلين المتحصنين بالمنازل وبين كماشة الأيديولوجيا التي ينطلق منها هؤلاء المقاتلين في حربهم ضد الأمريكان، صورة تزيد من تعاطف المشاهد وتثني على شجاعة الجنود الأمريكان.

النقـــــد:

إن صورة الملصق الذي يجسد معركة مقاديشو في الثالث من أكتوبر من سنة 1993 يحاول أن يؤكد على شرعية التدخل الأمريكي في الصومال بحجة تأمين وصول المساعدات الغذائية إلى الصوماليين الجياع بعد أن فشلت القوات الأممية في ذلك، عن طريق اعتقال قادة المليشيات المتسببين في موت مئات من الصوماليين. غير أن الواقع يقول غير ذلك، ففي غضون أشهر فرض الصقور في الولايات المتحدة الأمريكية (الرئيس الأمريكي جورج بوش ونائبه ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ونائبه بول وولفويتز، رئيس السياسة الدفاعية ريتشارد بيرل، ومستشارة لأمن القومي كوندوليزا رايس) حملتهم الصليبية في جميع أنحاء العالم بدعوى محاربة الإرهاب و استغلوا هذه الحرب ضد الإرهاب لشرعنة تدخلهم في الصومال والعراق وأفغانستان. الانتخابات الأمريكية لا تتلخص إلا في هذه الحرب. للتستر على الفساد في الشركات مثل انرون Enron أو فتح نقاش حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، هناك الأعداد المتزايدة من الأميركيين من دون تأمين صحي، وهناك أيضا نسبة زيادة الفقر في البلاد. في الوقت نفسه، سوف لن يعارض الديمقراطيون الرئيس لأنهم "يخشون أن يكونوا على الجانب الخطأ من الحرب"، وهذا يعني أن ينظر إليهم باعتبارهم وكلاء يعملون على تعزيز لعبة الإرهابيين.

د- الأهمية المعنوية و السياسية:

من خلال قراءتنا للملصق ندرك جيدا البعد السياسي للفيلم، فالولايات المتحدة

الأمريكية تحاول أن تستقطب الرأي العام العالمي حول شرعية الحرب التي تقودها ضد الإرهاب، وتثبت من خلال ذلك أحقية التدخل في بعد فشل مهمة القوات الدولية في إحلال السلام، والاكتفاء بالمراقبة، وبالتالي تتصدر الولايات المتحدة ساحة الدفاع عن العدالة والقيم الإنسانية النبيلة، بل تصبح القوات الأممية في خدمة الأمريكان حين ترسل في نهاية الفيلم عربات مصفحة لانتشال الجنود الأمريكان من وسط المدينة وتوصيلهم إلى الملعب الباكستاني.

هـ-الميدان الجمالي:

يبدو المظهر الجمالي للملصق في الكيفية التي تم بها رسم العناصر المكونة لمحاور الفيلم؛ الجنود الأمريكان والطائرات المروحية وكذلك المباني والسماء والكتابة التي أضفت بلونها البارز معنى آخر للملصق، وهذا يؤكد أن الرسم قد اختير بعناية دقيقة لدلالته على مضامين الفيلم، وعلى الرسالة التي أراد المرسل التأكيد عليها. كما أن الألوان المنتقاة استعملت بما يتناسب مع المعنى الذي سيؤديه الملصق. ومن جانب آخر كانت لوضعية الجنود وهم يتجهون صوب الأفق المتوهج، والطائرات في حالة إنزال جمالية أخرى تأكدت من خلال دمج كل تلك العناصر في لقطة واحدة.

4- التركيب والخاتمة:

بعد هذا التحليل السيميولوجي للملصق نستنتج أن مبدعه قد تعمد رسمها بهذا الشكل، وذلك لعدة أهداف و أبعاد منها:

أ-البعد السياسي:

والذي تمثل في محاولة إضفاء الشرعية الدولية لحرب الولايات المتحدة الأمريكية على الإرهاب التي كانت حقلا للتجريب السياسي و الاستراتيجي لكسب أصوات الرأي العام العالمي, وتكريس شرعية هذه السياسات في وضع تصورات مستقبلية لهيكلة النظام العالمي, فيما يمكن تسميته بديموقراطية الإكراه.

ب-البعد الإعلامي :

والذي تجسد في المحتوى الدلالي للصورة حيث تم التركيز في المقام الأول على شجاعة

وبطولة الجنود الأمريكان في معركة رهيبة محاولة منها لتضليل الرأي العام العالمي بحيث جسدت الصورة حسن نية أمريكا في دخولها للصومال لتأمين وصول المساعدات وإنهاء سيطرة المليشيات، إنه فيلم بأجندة سياسية، وهو سر نجاح هذه النسخة السينمائية في أمريكا والغرب في حين فشلت أفلام حربية أمريكية أخرى لأنها ببساطة غابت عنها الدعاية والرقابة. لقد جندت وسائل الإعلام لخدمة هذا المجهود الحربي من خلال إزالة القضايا الحرجة والأخلاقية وتقديم أمريكا راعية للسلام والقضايا الإنسانية النبيلة في العالم بلا منازع.

دلالة الملصق على ضمنية الفيلم:

اللقطة الأولى: الذريعة الإنسانية

1-اللقطة التأسيسية Establishing shot : وهي لقطة واسعة جدا يبدأ بها الفيلم وتوضح الأوضاع المأساوية التي عاشتها الصومال بداية التسعينات، حيث يظهر أحد ضحايا المأساة مكفنا وقد ربط إلى كرسي في انتظار دفنه، ورجل ذو سحنة إفريقية جالسا في انتظار -ربما- دوره لتضع المشاهد في المكان الذي ستدور فيه الأحداث. كما تبرز لقطات أخرى تهافت وتدافع الصوماليين على المساعدات الغذائية التي أبان المصور عن مصدرها حيث كتب عليها USA.

اللقطة الثانية: الخلفية الإسلامية للأحداث :

لتنتقل بين اللقطات عبر القطع السلس cut داخل المشهد المتعلق بعبدي السائق الذي يعمل مرشدا للقوات الأمريكية حيث تلاحقه في بداية العملية كاميرات المروحيات الاستطلاعية وهو يقود سيارته بهدوء وبطء شديدين وسط الحي التجاري المزدحم تزينها آيات قرآنية غير مكترث بما سيحدث لاحقا من مجازر في حق مواطني بلده. ولكن هل كان من الضروري رؤيته قبل العملية وهو يصلي وآذان الفجر يقطع سكون المدينة؟ وهل كان من الضروري الإعلان عن يوم المعركة (3أكتوبر) على صورة المئذنة؟

كما تحيلنا بعض الإشارات المرئية إلى أماكن تصويره في المغرب (مدينة سالا): الطابع المعماري لبعض المباني والتي عجزت العناصر السينمائية المستخدمة في إخفائها، لقطتان سريعتان تظهران صفيحة معدنية نقرأ فوقها (زنقة تيدارين) وكتابات عربية على الجدران مع العلم أن اللغة الرسمية في الصومال ليست العربية هذا الخطأ العارض أو المقصود والذي كان

بالإمكان تفاديه في المونتاج ينسينا جغرافية الأحداث وبأننا في مدينة موقاديشو.

اللقطة الثالثة: سؤال في أخلاقيات الحرب:

يستجدي سقوط الصقر الأسود من المتفرج الكثير من التأثر من خلال اللقطة القريبة جدا very big close shot حيث لم يتورع عن تقديم همجية الصوماليين لقطة الجندي الذي شطرته قذيفة إلى نصفين وإنسانية الجندي الأمريكي عبر مشاهد يظهر فيها الأسير الصومالي وهو يحظى بالكرم الأمريكي؛ غرفة مكيفة سجائر الهافانا، بينما لم تمنح الحشود الهائجة الطيار الأسير أية فرصة للنجاة. والأكيد أن تلك اللقطات لم تكن مجانية، لقد قدمها المخرج متعمدا وبإصرار وترصد بهدف الحصول على قدر أكبر من التعاطف مع الجنود الأمريكان، وإثارة مشاعر المتفرج وحتى تحريضه على الفتك بأول إفريقي يصادفه بعد خروجه من صالة العرض خاصة تلك المشاهد المقززة والتي تظهر إحداها أحد القادة الأمريكان وقد شطرته قذيفة أربيجي إلى نصفين. وعلى النقيض لم تقترب الكاميرا من تلك الهياكل العظمية التي سقطت في المعركة ليتسنى للمشاهد الترحم عليها في سره، بالرغم من عدد القتلى (500) وفق ما ذكره الفيلم مقابل (18) قتيلا و (82) جريحا في صفوف الأمريكان.

الهوامـــش و المراجـــع

-Commemorative Issue, George W. Bush : The Making of a Wartime President, 1 American Media Inc., 2001, p. 1.

- Claudine Mulard (propos recueillis par), “ “Hollywood ne doit pas être un 2 instrument de propagande de Washington” ”, Le Monde, 14 décembre 2001

- Ibid.3

- Le Petit Robert, 2000.4

- Ibid.5

- Ibid. Voir aussi Olivier Seguret, “ Hollywood étendard ”, Libération, 20 mars 6 www.liberation.fr. 2002, Internet,

7- Annette Lévy-Willard, “ Hollywood va-t-en-guerre ”, Libération, 10 décembre 2001, Internet,

www.liberation.fr. 8- Ibid.

9- Katharine Q. Seelye, “ Pentago Plays Role In TV Tribunal Drama ”, The New York Times, 7-8 avril 2002, [Le Monde].

0- Elizabeth Jensen, “ "Reality" TV Eagerly Marches Off to War ”, Los Angeles 1 Times, 22 février 2002, Internet, www.latimes.com.

1- B,Cocula et C, Peyroutet , sémantique de l'image, collection G , Gllek, 19861

12- Samuel Blumenfeld, “ Sous l’oeil du Pentagone, Ridley Scott remet au goût du jour le film de propagande ”, Le Monde, 20 février 2002.

13- Ibid. Voir aussi : Anne-Lise Clément, “ 10 000 secondes de sang : Pis après ? ”, Le Droit, 12 janvier 2002;

14- Christophe Ayad, “ L’opération Somalie revue et arrangée ”, Libération, 20 février 2002, Internet,

www.liberation.fr.

15- Voir : Claudine Mulard, “ Hollywood s’en va-t-en guerre sur les écrans ”, Le Monde, 20 février; Annie

16- Lise Clément, “ D’autres héros ”, Le Droit, 2 mars 2002; Marc André Lussier, “ Un merdier nommé Vietnam ”,

2002 -قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة مغامرة في سيميائية لأشهر الإرساليات البصرية في العالم، مؤسسة الوراق، عمان، 17